

خروج آدم من الجنة واستخلافه في الأرض في ضوء تفسير الثعلبي

د. محمد حمدي عبيد
قسم علوم القرآن، كلية الآداب، الجامعة العراقية، العراق

المخلص

كان سبب اختياري لهذا الموضوع هو لبيان صحة الروايات التي ذكرها الثعلبي في تفسيره عن قصة خروج سيدنا آدم عليه السلام ما تخللها من أحداث معضداً ما ذهب إليه بأقوال المفسرين المتقدمين منهم والمتأخرين. فكان منهجي لدراسة هذا الموضوع منهجاً تأصيلياً موضوعياً؛ إذ تتبعت الروايات التي ساقها الثعلبي في تفسيره عن قصة خروج آدم عليه السلام وما تلاها من أحداث، ثم بينت مدى صحتها من عدمها، معتمداً على أقوال المفسرين المعتمدة في هذه القصة، وقد أستشهد بالأحاديث الصحيحة ان وجدت لبيان درجة صحة الروايات. أما خطة البحث فقد اقتضت ان تشتمل على مقدمة ومبحثين وكما يأتي:

المبحث الأول: إسكان آدم عليه السلام وزوجه الجنة، وفيه ثلاثة مطالب.

المبحث الثاني: توبة آدم عليه السلام واستخلافه في الأرض، وفيه ثلاثة مطالب.

ثم ختمت بحثي بخاتمة بينت فيها أهم النتائج ثم قائمة المصادر والمراجع.

وأخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الكلمات المفتاحية: آدم، الاستخلاف في الأرض، تفسير الثعلبي.

Adam's Exit from Paradise and his Succession on Earth in light of Al-Thaalabi's Interpretation

Dr. Muhammad Hamdi Obaid
Department of Qur'anic Sciences, College of Arts, Al-Iraqia University, Iraq

ABSTRACT

The reason I chose this topic was to demonstrate the authenticity of the narratives mentioned by Al-Thaalabi in his interpretation of the story of the exodus of our Master Adam, peace be upon him, and the events that occurred within it, supporting what I argued with the statements of the early and late commentators.

Then I showed the extent of their authenticity or not, relying on the commentators' reliable statements regarding this story. He cited authentic hadiths, if they existed, to indicate the degree of authenticity of the narrations.

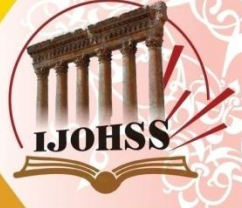
The research plan required it to include an introduction and two sections, as follows:

The first topic: placing Adam, peace be upon him, and his wife in Paradise, and it contains three demands

The second topic: Adam's repentance, peace be upon him, and his succession on earth. It contains three requirements

Then I concluded my research with a conclusion in which I explained the most important results, then a list of sources and references.

Keywords: Adam, succession on earth, Al-Thaalabi's interpretation.



المقدمة

الحمد لله خالق الأكوان، ومنزل القرآن، أرسل رسله وأنبياءه وعلمهم البيان؛ لهداية الناس الى عبادته واقامة العدل في أرضه، والصلاة والسلام على حبيبه ومصطفاه، وعلى آله وصحبه وسلم. أما بعد...

فالقران الكريم حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا يشبع منه العلماء، كتاب لا تنقضي عجائبه على مر الأزمان، من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل، فقد احتوى القرآن الكريم على العديد من المضامين والوجوه التي تناولها العلماء في تصانيفهم، منها القصص القرآني؛ إذ يعد جزءاً من علم التفسير وهو من أشرف علوم الأرض لتعلقه بأشرف كتاب وهو القرآن الكريم، فشرف العلم بشرف موضوعه، فكان من دلائل صدقه صلى الله عليه وسلم، وهو الصادق المصدوق، بل هو معجزته الكبرى ، فانه تعالى قد قص عليه أخبار بعض الأنبياء، قال تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ)¹. فكان من بين الأنبياء الذي قص الله تعالى قصصهم في كتابه ابو البشر آدم عليه السلام، فقد وردت قصته في كثير من السور القرآنية، وهي تحكي الأحداث على درجات متفاوتة من الطول والقصر، والبسط والاختصار، وهي بمجموعها تشكل وحدة موضوعية متكاملة، من بداية خلقه ومرورا بسكنائه، وخروجه من الجنة الى هبوطه الى الأرض، موطنه الذي خلق من أجل عمارته واقامة العدل فيه، فشرع المفسرون بذكر الروايات المتعلقة في شرح تفاصيل القصص القرآنية بين مسهب مولع بذكر الأخبار دون تقييد وتمحيص، كأمثال الثعلبي وغيره، وبين ذاكر لتلك الأخبار لنقدها وبيان الصحيح منها، والتنبية على الروايات الإسرائيلية التي مصدرها أهل الكتاب، والتي لا يوجد ما يؤيدها من الكتاب والسنة، كصنيع ابن كثير وغيره.

المبحث الأول: إسكان آدم عليه السلام وزوجه الجنة

المطلب الاول : السكن في الجنة

بعدما خلق الله تعالى آدم ونفخ فيه من روحه ، خلق الله تعالى حواء وجعلها زوجاً لآدم عليه السلام وأسكنها معه في الجنة. ولقد أخبر تعالى أنه بدأ خلق الناس من نفس واحدة ثم خلق منها زوجها ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾².

والمراد بالنفس الواحدة في الآية آدم عليه السلام أبو البشر والمراد بزوجه حواء، اي أنّ الله خلق حواء من نفس آدم³.

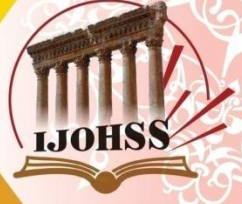
قال الثعلبي: عند تفسير قوله تعالى: (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ)⁴.

¹ سورة غافر: من الآية 78.

² سورة النساء: الآية 1.

³ الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي 241/3

⁴ سورة البقرة: من الآية 35.



وذلك أن آدم عليه السلام كان في الجنة وحشا ولم يكن له من يجالسه ويؤانسه، فنام نومة فخلق الله تعالى زوجته من قصيره من شقه الأيسر من غير أن يحس آدم بذلك ولا وجد له ألما ولو ألم من ذلك لما عطف رجل على امرأة، فلما هب آدم من نومه إذا هو بحواء جالسة عند رأسه كأحسن ما خلق الله تعالى، فقال لها: من أنت؟ قالت أنا زوجتك خلقتني الله لك لتسكن إليّ وأسكن إليك. فقالت الملائكة عند ذلك امتحانا لعلم آدم: يا آدم ما هذه؟ قال: امرأة، قالوا: ما اسمها؟ قال: حواء، قالوا: لم سميت حواء؟، قال: لأنها خلقت من حيّ، قالوا: تحبها يا آدم؟ قال: نعم، فقالوا لحواء: أتحبينه؟ قالت: لا، وفي قلبها أضعاف ما في قلبه من حبه، قالوا: فلو صدقت امرأة في حبه لزوجها لصدقت حواء⁵.

أخرج الطبري هذه الرواية الى قوله: (لأنها خلقت من حيّ)، قال: فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ بِمَا حَدَّثَنِي بِهِ، مُوسَى بْنُ هَارُونَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ، عَنِ السُّدِّيِّ، فِي خَبَرٍ ذَكَرَهُ عَنْ أَبِي مَالِكٍ، وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَنْ مَرْثَةَ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَعَنْ نَاسٍ، مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَذَكَرَ الرواية⁶. وهذا السند معلوم حاله بالضعف فقد ضعفه غير واحد من أهل العلم، قال عنه الحافظ ابن كثير: فَهَذَا الْإِسْنَادُ إِلَى هَوْلَاءِ الصَّحَابَةِ مَشْهُورٌ فِي تَفْسِيرِ السُّدِّيِّ وَيَقَعُ فِيهِ إِسْرَائِيلِيَّاتٌ كَثِيرَةٌ، فَلَعَلَّ بَعْضَهَا مُدْرَجٌ لَيْسَ مِنْ كَلَامِ الصَّحَابَةِ، أَوْ أَنَّهُمْ أَخَذُوا مِنْ بَعْضِ الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ⁷. وكذلك ذكر الحافظ ابن حجر: سند السدي من ضمن الطرق الضعيفة عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: جمع التفسير من طرق منها: عن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة بن شراحيل عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة رضي الله عنهم وغيرهم وخط روايات الجميع، فلم تتميز روايات الثقة من الضعيف، ولم يلق السدي من الصحابة إلا أنس بن مالك، وربما التبس بالسدي الصغير⁸. وفي كلام الحافظ ابن حجر، إشارة الى تضعيفه هذا السند الذي يروي به السدي غالب تفسيره. وكذلك قال ابن حجر: وحكى عن أحمد: أنه ليحسن الحديث إلا أن هذا التفسير الذي يجيء به قد جعل له إسناداً واستكلفه⁹.

وأما الثابت في شرعنا عن الأصل الذي خلقت منه المرأة هو ما أخبر به الرسول ﷺ إن المرأة خلقت من ضلع كما رواه أبو هريرة: (استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيراً)¹⁰.

⁵ الكشف والبيان 181/1-182.

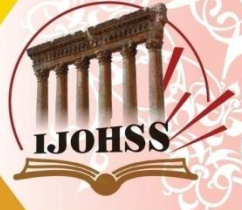
⁶ جامع البيان في تأويل القرآن للطبري 513/1.

⁷ ينظر: تفسير القرآن العظيم لأبن كثير 137/1.

⁸ ينظر: العجائب في بيان الأسباب لأبن حجر 211/1-212.

⁹ ينظر: تهذيب التهذيب لأبن حجر 314/1.

¹⁰ صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته 4/ 133، برقم (3331)، وصحيح مسلم، كتاب الوصية، باب الوصية بالنساء 1090/2، برقم (1468).



ففي الحديث إشارة أن المرأة خلقت من ضلع أعوج فلا يُنكر أعوجها أو الإشارة إلى أنها لا تقبل التقويم كما أن الضلع لا يقبله قوله فإن ذهبت نُقيمه كسرتة قيل هو ضرب مثل للطلاق أي إن أردت منها أن تتزك أعوجها أفضى الأمر إلى فراقها¹¹. ويؤيد ذلك رواية الامام مسلم (... وكسرها طلاقها)¹².

وكذلك في الحديث الندب إلى المداراة لاستمالة النفوس وتألف القلوب وفيه سياسة النساء بأخذ العفو عنهن والصبر على عوجهن فإن من رام تقويمهن فاته الانتفاع بهن مع أنه لا غنى للإنسان عن امرأة يسكن إليها ويستعين بها على معاشه¹³.

وقد ثبت في العلم الحديث إن خلق المرأة بهذه الهيئة (من ضلع أعوج) ووجود هذا الضلع في الجانب الأيسر، لإتمام مهمتها العاطفية عند الحمل، فلولا اعوجاج الضلع لمات الطفل في بطنها ولحصل ضغط على القفص الصدري للمرأة فليتأمل، المتأملون¹⁴.

المطلب الثاني: اغواء إبليس لآدم عليه السلام وحواء على الأكل من الشجرة.

بعد أن حذر الله تعالى آدم عليه السلام وحواء الأكل من الشجرة، حذرهما من عداوة إبليس لهما، لكنهما استجابا لإغراء إبليس لأنه حلف لهما بالله انه لناصح لهما، فلم يكن آدم عليه السلام يظن أن أحداً يتجرأ على القسم بالله كذباً، قال تعالى: (وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ)¹⁵، فأكلها من شجرة المحنة التي نهاهما الله تعالى من الاقتراب والأكل منها، قال تعالى: (فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى (120) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى)¹⁶. فكان كلهما من الشجرة المحظورة السبب في اهباطه من دار النعيم والبقاء الى دار الشقاء والفناء، فهياً الله سبب الخروج ولم يسكنه الأرض ابتداءً حتى تظهر له عداوة إبليس لكي يأخذ حذره وذريته منه.

فعندما شرع الثعلبي بتفسير الآيات المتعلقة في هذا الباب ذكر روايات عدة:

أولاً: ما جاء في تفسير قوله تعالى: (فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ)¹⁷. ذكر روايتين عن كيفية دخول إبليس الجنة ووسوسته لآدم وحواء ليأكلا من شجرة المحنة، قال:

1- وذلك إن إبليس أراد أن يدخل الجنة ويوسوس لآدم ولحواء فمنعته الخزنة، فأتى الحية وكانت من أحسن الدواب لها أربع قوائم كقوائم البعير وكانت من خزان الجنة وكانت صديقةً لإبليس، فسألها أن تدخله في فمها فأدخلته في فمها ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون فأدخلته الجنة، وكان آدم لما دخل الجنة ورأى ما فيها من

¹¹ ينظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر 368/6 .

¹² صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء 1091/2، برقم (1468).

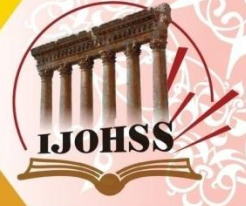
¹³ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني 323/5.

¹⁴ ينظر : موقع الدكتور محمد راتب النابلسي ، www.alnabulsi.com ، وموقع شباب كل العمر ،

www.shabablek.com .

¹⁵ سورة الأعراف: الآية (21).

¹⁶ سورة البقرة: من الآية 36.



النعيم والكرامة قال: لو أن خلدا، فاغتمم الشيطان ذلك منه وأتاه من قبل الخلد، ولما دخل الجنة وقف بين يدي آدم وحواء لا يعلمان إنه إبليس، فراح عليهما نياحة أجزنهما وبكى وهو أول من ناح فقالا لم تبكي قال: أبكي عليكما تموتان فقارقان ما أنتما فيه من النعيم والكرامة، فوقع ذلك في أنفسهما واغتمما، ومضى ثم أتاهما بعد ذلك وقال: يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى، فأبى أن يقبل منه فقاسمهما بالله إنه لهما لمن الناصحين، فاغتمما وما كانا يظنان أن أحدا يحلف بالله كاذبا، فبادرت حواء الى أكل الشجرة ثم ناولت آدم حتى أكلها¹⁸.

والذي يتبين لي أن الثعلبي قد أخذ هذه الرواية وحاكها من عدة أسانيد ولهذا لم يذكرها بسند معين والشاهد على ما ذكرنا، هو أن الطبري ذكر هذه الرواية بأسانيد وطرق متعددة¹⁹، وقد اغتم الثعلبي وكثير من المفسرون بقصة إبليس والحية، وسودوا بهذه الروايات الإسرائيلية تفاسيرهم، التي يظن كثير من الناس، من غير أهل العلم الذين يقرؤون التفسير أنها حقيقة، وقد أنبرى لرد هذه الروايات الدخيلة بعض المفسرون، ونبهوا على أن مصدرها أهل الكتاب ومن هؤلاء الرازي، عندما ذكر وجوها لكيفية وسوسة إبليس لآدم، قال: اخْتَلَفُوا فِي أَنَّهُ كَيْفَ تَمَكَّنَ إِبْلِيسُ مِنْ وَسْوَسَةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ أَنَّ إِبْلِيسَ كَانَ خَارِجَ الْجَنَّةِ وَآدَمَ كَانَ فِي الْجَنَّةِ، وَذَكَرُوا فِيهِ وَجُوهًا. أَحَدَهَا: قَوْلُ الْفُصَّاصِ وَهُوَ الَّذِي رَوَاهُ عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهِ الْيَمَانِيِّ وَالسُّدِّيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَغَيْرِهِ: وَذَكَرَ الرَّوَايَةَ... وَاعْلَمَ أَنَّ هَذَا وَأَمْثَالَهُ مِمَّا يَجِبُ أَنْ لَا يُتَلَقَّتْ إِلَيْهِ لِأَنَّ إِبْلِيسَ لَوْ قَدَرَ عَلَى الدُّخُولِ فِي فَمِ الْحَيَّةِ فَلِمَ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ نَفْسَهُ حَيَّةً ثُمَّ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَإِلَّا لَمَا فَعَلَ ذَلِكَ بِالْحَيَّةِ فَلِمَ عَوَّقِبَتِ الْحَيَّةُ مَعَ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِعَاقِلَةٍ وَلَا مُكَلَّفَةٍ²⁰. وقال ابن كثير: وَقَدْ ذَكَرَ الْمُفَسِّرُونَ مِنَ السَّلَفِ كَالسُّدِّيِّ بِأَسَانِيدِهِ وَأَبِي الْعَالِيَةِ وَوَهْبِ بْنِ مُنَبِّهِ وَغَيْرِهِمْ هَاهُنَا أَحْبَابًا إِسْرَائِيلِيَّةً عَنِ قِصَّةِ الْحَيَّةِ وَإِبْلِيسَ، وَكَيْفَ جَرَى مِنْ دُخُولِ إِبْلِيسَ إِلَى الْجَنَّةِ وَوَسْوَسَتِهِ²¹. وكذلك نبه عليها محمد رشيد رضا في تفسيره قال: وَقَدْ صَرَّحَ النَّصَارَى مِنْهُمْ بِأَنَّ إِبْلِيسَ دَخَلَ فِي الْحَيَّةِ وَتَوَسَّلَ بِهَا إِلَى إِغْوَاءِ حَوَاءَ، وَنَقَلَ عَنْهُمْ الْمُسْلِمُونَ مَا نَقَلُوا فِي ذَلِكَ، وَنَحْنُ لَا نَعْتَدُ بِمَا يُخَالِفُ مَا فِي الْقُرْآنِ وَصَحِيحِ مَا فِي السُّنَّةِ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: إِذَا عَلِمْتَ هَذَا فَلَا يَغْرَبُكَ شَيْءٌ مِمَّا رُوِيَ فِي التَّفْسِيرِ الْمَأْثُورِ فِي تَفْصِيلِ هَذِهِ الْقِصَّةِ فَأَكْثَرُهُ لَا يَصِحُّ، وَهُوَ أَيْضًا مَأْخُودٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْمَأْخُودَةَ عَنِ زَنَادِقَةِ الْيَهُودِ الَّذِينَ دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ لِلْكَبِدِ لَهُ، وَكَذَا الَّذِينَ لَمْ يَدْخُلُوا فِيهِ. كَانَ الرُّوَاةُ يُنْقَلُونَ عَنِ الصَّحَابِيِّ أَوْ التَّابِعِيِّ مَا مَصْدَرُهُ عِنْدَهُ هَذِهِ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ مِنْ غَيْرِ بَيَانٍ²². وقال الشنقيطي: وَالْمُفَسِّرُونَ يَذْكُرُونَ فِي ذَلِكَ قِصَّةَ الْحَيَّةِ، وَأَنَّهُ دَخَلَ فِيهَا فَأَدَخَلَتْهُ الْجَنَّةَ، وَالْمَلَائِكَةُ الْمُؤَكَّلُونَ بِهَا لَا يَشْعُرُونَ بِذَلِكَ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ²³. وكذلك حكم على هذه الروايات وبين أن مصدرها مسلمة أهل الكتاب الدكتور أبو شهبه أيضا، قال بعد ذكر القصة: وكل هذا من قصص بني إسرائيل الذي تزيدوا

¹⁸ الكشف والبيان 1/183.

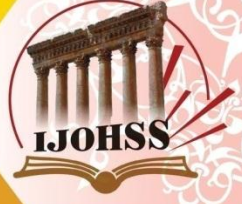
¹⁹ ينظر: جامع البيان 1/526-531.

²⁰ مفاتيح الغيب للرازي 3/462.

²¹ تفسير القرآن العظيم لابن كثير 1/143.

²² تفسير المنار لمحمد رشيد رضا 8/317.

²³ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي 4/111.



فيه، وخطوا حقا بباطل، ثم حملهم عنهم ابن عباس، وغيره من الصحابة والتابعين، وفسروا به القرآن الكريم، ويرحم الله ابن جرير، فقد أشار بذكره الرواية عن وهب: إلى أن ما يرويه عن ابن عباس، وابن مسعود إنما مرجعه إلى وهب وغيره من مُسلمة أهل الكتاب، ويا لئيت لم ينقل شيئاً من هذا ويا لئيت من جاء بعده من المفسرين صانوا تفاسيرهم عن مثل هذا... ثم قال بعد ذلك: وسوسة إبليس لآدم عليه السلام لا تتوقف على دخوله في بطن الحية؛ إذ الوسوسة لا تحتاج إلى قرب ولا مشافهة، وقد يوسوس إليه وهو على بعد أميال منه، والحية خلقها الله يوم خلقها على هذا، ولم تكن لها قوائم كالبعثي²⁴، ولا شيء من هذا²⁵.

2- وروى محمد بن إسحاق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط قال: سمعت سعيد بن المسيب يحلف بالله ما يستثني: ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل ولكن حواء سقته الخمر حتى إذا سكر قادتة إليها فأكل، فلما أكلا تهاقنت عنهما ثيابهما وبدت سوءاتهما وأخرجا من الجنة²⁶.

ذكر الثعلبي وكثير من المفسرين²⁷ هذه الرواية من غير أي تعقيب، وهذا لا يصح والله أعلم من ثلاث أوجه: أولاً: إن هذه القصة من مرويات اليهود والنصارى ونظرتهم للمرأة التي يعتبرونها أساساً للفساد وأماً للخطيئة فهم يعتقدون أن حواء هي سبب الخروج من الجنة وقد وردت هذه القصة في التوراة²⁸.

ثانياً: القول بأن حواء سقته الخمر حتى ذهب عقله وقادتة إلى الشجرة، هذا لا يصح لأن خمر الجنة مباح، قال تعالى (وَأَنهَارٌ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ)²⁹، وان الله تعالى لا يبيح شيء فيه ضرر للإنسان، وقال تعالى (لا فيها غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ)³⁰، قال ابن كثير عندما ذكر أقوال السلف في تفسير الغول: والصحيح قول مجاهد: إِنَّهُ وَجَعَ البطن، وقوله تعالى: (وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ) قَالَ مُجَاهِدٌ: لَا تَذْهَبُ عُقُولُهُمْ³¹.

ثالثاً: ان في القرآن غنية عن هذه الرواية وأمثالها، قال تعالى (فَوَسَّوَسَ لَهَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهَا مَا وُورِيَ عَنْهَا مِنْ سَوَاتِحِهَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ فَذَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوَاتِحُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ

²⁴ البُخْتِيَّة: الأُنثى مِنَ الْجَمَالِ البُخْتِ، وَالدَّكْرُ بُخْتِي، وَهِيَ جَمَالٌ طَوَالَ الأَعْنَاقِ. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير 1/101، ولسان العرب لابن منظور 2/9.

²⁵ الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لأبي شهبه/ (179 _ 180).

²⁶ الكشف والبيان 1/183.

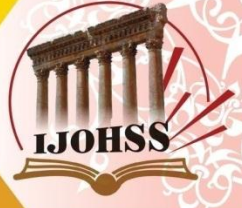
²⁷ ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب القيسي 1/240، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن للبعوي 1/106، والمنظم في تاريخ الملوك والأمم لابن القيم 1/206، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي 306، والسراج المنير للشربيني 1/50، والتفسير المظهري لمحمدر ثناء الله المظهري 1/57.

²⁸ ينظر: سفر التكوين 1/3-19.

²⁹ سورة محمد: من الآية 15.

³⁰ سورة الصافات: الآية 47.

³¹ ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير 7/11.



وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلُّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ³²، فهذا نص صريح وفيه دلالة واضحة على أن إبليس قسم ووسوس وأزل الأثنين معا وقادهما الى الشجرة.

ومن العلماء الذين ردوا هذه الرواية عقلاً ونقلًا، ابن العربي قال: أَمَا الْقَوْلُ بِأَنَّ آدَمَ أَكَلَهَا سَكَرَانَ فَفَاسِدٌ نَقْلًا وَعَقْلًا: أَمَا النَّقْلُ فَلِأَنَّ هَذَا لَمْ يَصِحَّ بِحَالٍ، وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ حَمْرَ الْجَنَّةِ بِأَنَّهَا لَا غَوْلَ فِيهَا، فَكَيْفَ تُوصَفُ بِغَيْرِ صِفَتِهَا الَّتِي أَحْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا عَنْهَا فِي الْقُرْآنِ.

وَأَمَا الْعَقْلُ؛ فَلِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ بَعْدَ النَّبِيِّ مُنْزَهُونَ عَمَّا يُؤَدِّي إِلَى الْإِخْلَالِ بِالْفَرَائِضِ وَأَقْتِحَامِ الْجَرَائِمِ³³. وقال القرطبي معرجاً على هذا القول: قَدْ اسْتَنْبَطَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ نُبُوَّةَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَبْلَ إِسْكَانِهِ الْجَنَّةِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: (فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ)³⁴ فَأَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُنَبِّئَ الْمَلَائِكَةَ بِمَا لَيْسَ عِنْدَهُمْ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ³⁵. وكذلك ردها ابن الجوزي عندما أوردتها قال: وَفِي هَذَا بَعْدَ مِنْ جَهَنِّينَ.

أحدهما: أَنْ خمر الْجَنَّةِ لَا يسكر، لقوله تعالى: (لا فِيهَا عَوْنٌ)³⁶.

والثاني: أَنَّهُ لَا يخلو أَنْ يَكُونَ شربه مباحاً لَهُ أَوْ محظوراً وَقَدْ حظره لِأَنَّ الظاهر إباحته جميع ما فِي الْجَنَّةِ لَهُ سِوَى تلك الشجرة ومن فعل المباح لَمْ يواخذ بِمَا يُوثره.³⁷

ثانياً: ما جاء في تفسير قوله تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا)³⁸. أورد الثعلبي حديثين في توضيح المراد من هذه الآية:

1- قال: وروى أبو إدريس عن أبي ذر عن علي كرم الله وجهه قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ملاء من المهاجرين إذ أقبل إليه سلوني تفقها فقالوا: يا محمد إنا أتيناك لنسألك عن أشياء لا يعلمها إلا من كان نبياً مرسلًا وملكاً مقرباً. فقال صلى الله عليه وسلم: «سلوني تفقها ولا تسألوني تعنتاً» فقالوا: يا محمد أخبرنا لم أمر الله بغسل هذه الأربعة المواضع وهي أنظف المساجد؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم:

«إِنَّ آدَمَ لَمَّا نَظَرَ إِلَى الشَّجَرَةِ قَصَدَ إِلَيْهَا بِوَجْهِهِ ثُمَّ مَشَى إِلَيْهَا وَهِيَ أَوَّلُ قَدَمٍ مَشَتْ إِلَى الْمَعْصِيَةِ ثُمَّ تَنَاوَلَ بِيَدِهِ وَشَمَّهَا فَأَكَلَ مِنْهَا فَسَقَطَتْ عَنْهُ الْحَلِي وَالْحَلَلُ فَوَضَعَ يَدَهُ الْخَاطِئَةَ عَلَى رَأْسِهِ فَأَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِغَسْلِ الْوَجْهِ لَمَّا أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى الشَّجَرَةِ وَقَصَدَهَا وَأَمَرَ بِغَسْلِ السَّاعِدَيْنِ وَغَسَلَ يَدَهُ وَأَمَرَ بِمَسْحِ رَأْسِهِ، ابْتَلَتْهُ الشَّجَرَةُ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ وَأَمَرَ بِغَسْلِ الْقَدَمَيْنِ لَمَّا مَشَى إِلَى الْخَطِيئَةِ فَلَمَّا فَعَلَ آدَمُ ذَلِكَ كَفَّرَ اللَّهُ عَنْهُ الْخَطِيئَةَ فَافْتَرَضَهُنَّ اللَّهُ عَلَى أُمَّتِي لِيَكْفَرَ ذُنُوبَهُمْ مِنَ الْوَضوءِ إِلَى الْوَضوءِ»

³² سورة الأعراف: الآيات (19_20_21).

³³ أحكام القرآن لابن العربي/31.

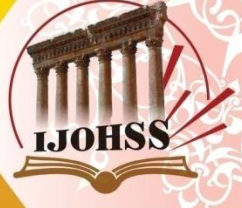
³⁴ سورة البقرة: من الآية 33.

³⁵ الجامع لأحكام القرآن/306/1.

³⁶ سورة الصافات: من الآية 47.

³⁷ المنتظم/206/1.

³⁸ سورة المائدة: من الآية 6.



قالوا: صدقت، فأسلموا³⁹.

2- روى أبو زر عن علي (عليه السلام) فقال: أقبل عشرة من أحبار اليهود، فقالوا: يا محمد لماذا أمر الله بالغسل من الجنابة ولم يأمر من البول والغائط وهما أقدس من النطفة؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن آدم لما أكل من الشجرة تحوّل في عروقه وشعره، وإذا جامع الإنسان نزل من أصل كل شعرة فافترضه الله عز وجل عليّ وعلى أمتي تكفيراً وتطهيراً وشكراً لما أنعم عليهم من اللذة التي يصيبونها منه»⁴⁰.

والذي أراه أن هاتان الروايتان من الروايات الموضوعية على النبي صلى الله عليه وسلم، سنداً وامتناً، لأن الشرائع تختلف من أمة إلى أخرى، وهذا الخطاب في هذه الآية موجه إلى أمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فهذه الروايات تبين بأن فرض الوضوء والغسل إنما أوجبهما الله تعالى طهارة لآدم عليه السلام بسبب الاقدام إلى الشجرة والأكل منها، وهذا يحتاج إلى نقل ثابت، فبعد البحث والتحصيل في كتب السنة والزوائد والمسانيد لم أجد ما يؤيد ذلك والله تعالى أعلى وأعلم.

المطلب الثالث: تحديد عين الشجرة.

بعدما أسكن الله تعالى آدم عليه السلام وحواء الجنة أباح لهما الأكل من كل اشجار الجنة، وعين لهما شجرة واحدة وحذرهما ونهاهما من الاقتراب والأكل منها، قال تعالى: «وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ»⁴¹. فوقع النهي عن الاقتراب من الشجرة، فكيف بالأكل منها، فعصا ربه فأكل من تلك الشجرة وإن معصية لم تكن عن عمد بل كانت عن سهو وغفلة ونسيان قال تعالى «وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا»⁴².

قال الثعلبي: عند تفسير قوله تعالى: (وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ).

قال بعض العلماء: وقع النهي على جنس من الشجر. وقال آخرون: بل وقع على شجرة مخصوصة واختلفوا فيها:

أولاً: قال علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) : هي شجرة الكافور.

ثانياً: وقال قتادة: شجرة العلم وفيها من كل شيء.

ثالثاً: ومحمد بن كعب، ومقاتل، وابن عباس رضي الله عنهما: هي السنبل.

رابعاً: قال: وقيل: هي الحبل⁴³ وهي الأصل من أصول الكرم.

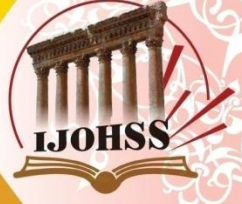
³⁹ الكشف والبيان 30/4.

⁴⁰ المصدر السابق 32/4.

⁴¹ سورة البقرة: الآية 35.

⁴² سورة طه: الآية 115.

⁴³ والحبل، بالضم الكرم، أو أصل من أصوله. ينظر تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي 267/28، مادة (حبل)؛ وقال الراغب: العنب يقال لثمرة الكرم، وللكرم نفسه، ينظر: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني 589/1، مادة (عنب).



خامسا: أبو روق عن الضحّاك: أنها شجرة التين⁴⁴.

والصحيح أنه وقع النهي على جنس من الشجر ولا فائدة تعود إلينا نحن المكلفون، في تحديد جنس هذه الشجرة، ولا يوجد سند من قرآن أو سنة يبين ذلك. قال: الطبري والقول في ذلك عندنا أن الله جل ثناؤه أخبر عباده أن آدم وزوجه أكلتا من الشجرة التي نهاهما ربهما عن الأكل منها، فأتيا الخطيئة التي نهاهما عن إتيانها بأكلهما ما أكلتا منها، بعد أن بين الله جل ثناؤه لهما عين الشجرة التي نهاهما عن الأكل منها، وأشار لهما إليها بقوله: (ولا تقربا هذه الشجرة)⁴⁵، ولم يضع الله جل ثناؤه لعباده المخاطبين بالقرآن، دلالة على أي أشجار الجنة كان نهيه آدم أن يقربها، بنص عليها باسمها، ولا بدلالة عليها. ولو كان الله في العلم بأي ذلك من أي رضاء، لم يخل عباده من نصب دلالة لهم عليها يصلون بها إلى معرفة عينها، ليطيعوه بعلمهم بها، كما فعل ذلك في كل ما بالعلم به له رضاء

فالصواب في ذلك أن يقال: إن الله جل ثناؤه نهى آدم وزوجته عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها، فخالفا إلى ما نهاهما الله عنه، فأكلتا منها كما وصفهما الله جل ثناؤه به. ولا علم عندنا أي شجرة كانت على التعيين، لأن الله لم يضع لعباده دليلا على ذلك في القرآن، ولا في السنة الصحيحة. فأتى ذلك؟ وقد قيل: كانت شجرة البر، وقيل: كانت شجرة العنب، وقيل: كانت شجرة التين، وجائز أن تكون واحدة منها، وذلك علم، إذا علم لم ينفع العالم به علمه، وإن جهله جاهل لم يضره جهله به⁴⁶. وأيد هذا الإبهام ابن عطية بعد ما ساق أقوال السلف في تحديد جنس الشجرة قال: وليس في شيء من هذا التعيين ما يعضده خبر، وإنما الصواب أن يعتقد أن الله تعالى نهى آدم عن شجرة فخالف هو إليها وعصى في الأكل منها، وفي حظره تعالى على آدم الشجرة ما يدل على أن سكناه في الجنة لا يدوم، لأن المخلد لا يحظر عليه شيء، ولا يؤمر ولا ينهى. وأيده كذلك الرازي وقال: لَيْسَ فِي الظَّاهِرِ مَا يَدُلُّ عَلَى التَّعْيِينِ فَلَا حَاجَةَ أَيْضًا إِلَى بَيَانِهِ لِأَنَّهُ لَيْسَ الْمُقْصُودُ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ أَنْ يُعْرَفْنَا عَيْنَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَمَا لَا يَكُونُ مُقْصُودًا فِي الْكَلَامِ، لَا يَجِبُ عَلَى الْحَكِيمِ أَنْ يُبَيِّنَهُ بَلْ رُبَّمَا كَانَ بَيَانُهُ عَيْبًا⁴⁷. وأيده أيضا ابن كثير بعد ما نقل كلام الطبري، ثم قال: وَكَذَلِكَ رَجَحَ الْإِبْهَامَ الرَّازِي فِي تَفْسِيرِهِ وَغَيْرُهُ وَهُوَ الصَّوَابُ⁴⁸.

وقال الألويسي: والأولى عدم القطع والتعيين، كما أن الله تعالى لم يعينها باسمها في الآية، ولا أرى ثمرة في تعيين هذه الشجرة⁽⁴⁹⁾.

⁴⁴ الكشف والبيان 1/182.

⁴⁵ سورة البقرة: من الآية 35.

⁴⁶ ينظر: جامع البيان 1/120_121.

⁴⁷ ينظر: مفاتيح الغيب 3/454.

⁴⁸ ينظر: تفسير القرآن العظيم لأبن كثير 1/143.

⁴⁹ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألويسي 1/333.

المبحث الثاني: توبة آدم عليه السلام واستخلافه في الأرض . المطلب الاول: توبة آدم عليه السلام

بعدما أكل آدم وحواء من الشجرة المحظورة ندما ندماً شديداً على ما اغترفا من الذنب بمعصيتهما الله تعالى بسبب وسوسة الشيطان وغوايته لهما ليخرجهما من نعيم الجنة حسداً منه لهما، وان وما ورد في الكتاب والسنة من كلام حول مؤاخذه الله الرسل عليهم الصلاة والسلام على بعض أعمال عملوها أو تصرفات فعلوها، فبعضها محمول على أنه كان قبل النبوة، وبعضها محمول على أنه من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين، وبعضها محمول على أنه كان اجتهاداً منهم حيث جاز لهم الاجتهاد ولم يوافقوا الصواب عند الله عز وجل، فأخبرهم الله عز وجل بما هو الصواب عنده، وعلى هذا فالمسلم مكلف أن ينفي المعصية عن الرسل عليهم الصلاة والسلام بالمعنى الذي تحمل عليه في بقية الخلق⁵⁰. فطلبا التوبة من الله تعالى، فانزل كلمات التوبة قرآن ينلى الى يوم القيامة.

فعندما فسر الشعبي قوله تعالى: (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)⁵¹.

ذكر خلاف السلف في تفسير الكلمات التي تلقاها آدم عليه السلام من ربه، ولم يرجح أحد الأقوال.

قال: واختلفوا في تلك الكلمات⁵²:

اولاً: قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي أن آدم قال: يا رب ألم تخلقني بيدك؟ قال: بلى، قال: ألم تتفخ في من روحك؟ قال: بلى، قال: ألم تسبق رحمتك بي غضبك؟ قال: بلى، قال: ألم تسكني جنتك؟ قال: بلى، قال: فلم أخرجتني منها؟ قال: بشؤم معصيتك، قال: أي رب رأيت لو تبت وأصلحت أراجعي أنت الى الجنة؟ قال: بلى. قال: فهو الكلمات.

ثانياً: قال عبيد بن عمير: هو أن آدم قال: يا رب رأيت ما أتيت، أشيء ابتدعته على نفسي أم شيء قدرته عليّ قبل أن تخلقني؟ قال: بل شيء قدرته عليك قبل أن أخلقك، قال: يا رب كما قدرته عليّ فأغفر لي.

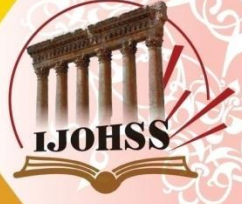
ثالثاً: همام بن منبه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: حاج آدم وموسى، فقال له موسى: أنت آدم الذي أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة الى الأرض؟ فقال له آدم: أنت موسى الذي أعطاك الله علم كل شيء واصطفاك على الناس برسالته؟ قال: نعم. قال: أتلومني على أمر كان قد كتب عليّ أن أفعله من قبل أن أخلق. قال: فحج آدم موسى⁵³.

⁵⁰ الأساس في السنة وفقهها لسعيد حوى 833/2.

⁵¹ سورة البقرة: الآية 37.

⁵² الكشف والبيان 184/1-185.

⁵³ صحيح البخاري 2439/6، كتاب التوحيد، باب قولهِ: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} [النساء: 164]، 148/9، برقم (7515)، وصحيح مسلم، كتاب القدر، باب حاج آدم وموسى (عليهما السلام)، 2043/4، برقم (2652).



وعلق الحافظ ابن كثير على هذا الحديث بقوله: فقال له آدم: أنا لم أخرجكم وإنما أخرجكم الله الذي رتب الإخراج على أكلي من الشجرة وقد رتب ذلك وكتبه وقدره عليّ قبل أن أخلق، فأنت تلومني على أمر، ليس له نسبة إليّ، أكثر من أنني نُهيئتُ عن الأكل من الشجرة فأكلت منها . وكون الإخراج من الجنة مترتباً على الأكل ليس من فعلي وإنما هو قدرٌ من الله. فأنا لم أخرجكم ولا نفسي من الجنة؛ لأن هذا الإخراج كان من قدر الله وصنعه وله الحكمة في ذلك⁵⁴.

رابعاً: وقال محمد بن كعب القرظي: هي قوله: لا إله إلا أنتُ سبحانكَ وبحمدك قد عملت سوءاً وظلمتُ نفسي فتاب عليّ إنك أنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، لا إله إلا أنتُ سبحانكَ وبحمدك قد عملت سوءاً وظلمتُ نفسي فأغفر لي إنك أنتَ الغفور الرحيم، لا إله إلا أنتُ سبحانكَ وبحمدك ربّ عملت سوءاً وظلمتُ نفسي فأرحمني إنك أنتَ أرحمُ الرَّاحِمِينَ.

خامساً: عن عكرمة عن ابن عباس في قوله: فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ قَالَا: قَوْلُهُ: رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ، وكذلك قاله الحسن ومجاهد.

سادساً: وقال بعضهم: هي أن آدم عليه السلام نظر الى العرش فرأى على ساقه مكتوباً لا اله الا الله محمد رسول الله، فقال: يا رب أسألك بحق محمد أن تغفر لي فغفر له. هذه الرواية جزء من حديث طويل أخرجه الحاكم وابن عساكر من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ ((لما اقترَف آدم الخطيئة قال : يا رب أسألك بحق محمد إلا غفرت لي ، فقال الله فكيف عرفت محمداً ولم أخلقه بعد ؟ فقال : يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً ((لا اله إلا الله محمد رسول الله)) فعلمت إنك لم تضيف الى اسمك إلا أحب الخلق إليك فقال الله : صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إليّ وإذا سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك))⁵⁵.

قال الذهبي : هذا الحديث موضوع⁵⁶ ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم مجروح . وقال ابن حجر : عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف⁵⁷.

سابعاً: وقيل: هذا التأويل ما روى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عرج بي الى السماء رأيت على ساق العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الفاروق.

⁵⁴ قصص الأنبياء لابن كثير ص27 .

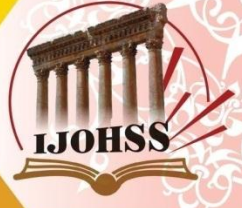
⁵⁵ المستدرک علی الصحیحین للحاکم 672/2، برقم(4228)، وقال الحاکم: هذا حديث صحيح الأسناد، وقال الذهبي:

موضوع، تاريخ دمشق لابن عساكر 437/7.

⁵⁶ تلخيص كتاب الموضوعات لابن الجوزي للذهبي 1/152.

⁵⁷ التلخيص الحبير لابن حجر 99/3.

⁵⁷ ينظر: الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي 62/6.



وهذا الحديث أخرجه ابن عدي، عن علي بن جميل الرقي وشيخ بلخي، يقال له: معروف بن أبي معروف عن جرير، عن ليث عن مجاهد، عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه، وذكر الرواية، بزيادة في آخره (وعثمان ذا الثورين)، ثم قال: وهذا ليس بصحيح. وذكره الذهبي، ثم قال: هذا موضوع، لكنه مشهور بعلي بن جميل، عن جرير، وكان يحلف فيقول: حدثنا والله جرير⁵⁸. ثم قال: علي بن جميل الرقي، كذبه ابن حبان، وضعفه الدارقطني وغيره، ثم قال: تابعه شيخ مجهول يقال له معروف بن أبي معروف البلخي، عن جرير، ومعه مجهول، يسرق الحديث كما قال ابن عدي⁵⁹.

ثامناً: وقيل هي ثلاثة أشياء: الخوف والرجاء والبياء.

تاسعاً: أبو بكر الهذلي عن شهر بن حوشب قال: بلغني أن آدم لما أهبط إلى الأرض مكث ثلاثمائة سنة لا يرفع رأسه حياء من الله تعالى.

عاشراً: قال ابن عباس: بكاء آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة، ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوماً، ولم يقرب آدم حواء مائة سنة.

والصحيح في تفسير الكلمات التي تلقاها آدم عليه السلام، هي ما وردت في قوله تعالى: (رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)⁶⁰، وهو ما نقله الثعلبي عن الحسن البصري ومجاهد، وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهذا القول رجحه الطبري، بعد ما أسهب في نقل أقوال السلف من الصحيح والسقيم، قال: وهذه الأقوال التي حكيناها عن حكيماها عن حكيماها عنه، وإن كانت مختلفة الألفاظ، فإن معانيها متفقة في أن الله جل ثناؤه لقي آدم كلمات، فتلقاهن آدم من ربه فقبلهن وعمل بهن، وتاب بقبله إياهن وعمله بهن إلى الله من خطيئته، معترفاً بذنبه، متصلاً إلى ربه من خطيئته، نادماً على ما سلف منه من خلاف أمره، فتاب الله عليه بقبوله الكلمات التي تلقاهن منه، وندمه على سالف الذنب منه، والذي يدل عليه كتاب الله، أن الكلمات التي تلقاهن آدم من ربه، هن الكلمات التي أخبر الله عنه أنه قالها متصلاً بقبلها إلى ربه، معترفاً بذنبه، وهو قوله: (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين)، وليس ما قاله من خالف قولنا هذا من الأقوال التي حكيناها، بمدفوع قوله، ولكنه قول لا شاهد عليه من حجة يجب التسليم لها⁶¹. ونقل ابن كثير قول الطبري وأيده⁶²، ورجحه كذلك ابن الجوزي⁶³، وجزم به محمد رشيد رضا عندما أورد قوله تعالى (فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ) أَي أَلْهَمَهُ اللهُ إِيَّاهَا بِهَا وَهِيَ كَمَا فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: (رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا

⁵⁸ ينظر: ميزان الاعتدال للذهبي 146/4.

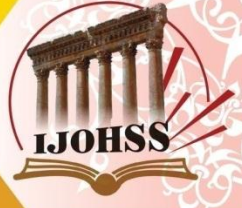
⁵⁹ ينظر: المصدر نفسه 117/3، 145/4.

⁶⁰ سورة الاعراف: الآية 23.

⁶¹ ينظر: جامع البيان 546/1.

⁶² ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير 143/1.

⁶³ ينظر: المنتظم 213/1_ 214.



لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)⁶⁴. وكذلك أقره العلامة الشنقيطي عندما فسر قوله تعالى (فَتَلَقَّى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ)، قال: لَمْ يُبَيِّنْ هُنَا مَا هَذِهِ الْكَلِمَاتُ، وَلَكِنَّهُ بَيَّنَّهَا فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ، بِقَوْلِهِ: (قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)⁶⁵. ورجحه كذلك الدكتور أبو شهبة⁶⁶.

المطلب الثاني: اخراجه من الجنة وهبوطه الى الأرض.

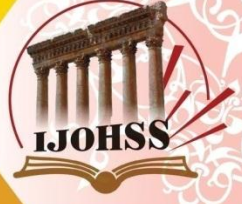
بعد رحلة طويلة من الأحداث بدأت بخلق آدم ونفخ الروح فيه وسجود الملائكة له واسكانه الجنة انتهت بمعصية آدم عليه السلام ومخالفته لأمر الله، بسبب غواية إبليس له، ثم تلقيه كلمات التوبة من الله، وبعد أن تاب الله تعالى عليهما، أمر الله الجميع آدم وحواء وإبليس الهبوط الى دار الفناء والشقاء. قال تعالى: (وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ)⁶⁷. فكان لهبوط آدم عليه السلام نعمة عظيمة عليه وعلى ذريته، فأراد ذلك الله تعالى لتتحقق حكماً عديدة لم تكن تتحقق لو بقي آدم عليه السلام في نعيم الجنة. وقد ذكر ابن القيم بعضاً من هذه الحكم قال: فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمَّا اهْبَطَ آدَمُ أَبَا الْبَشَرِ مِنَ الْجَنَّةِ لَمَّا لَه فِي ذَلِكَ مِنَ الْحُكْمِ الَّتِي تَعْجَزُ الْعُقُولُ عَنْ مَعْرِفَتِهَا وَاللِّسَنُ عَنْ صِفَتِهَا فَكَانَ إِهْبَاطُهُ مِنْهَا عَيْنَ كَمَالِهِ لِيَعُودَ إِلَيْهَا عَلَىٰ أَحْسَنِ أحواله فَأَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَذِيقَهُ وَوَلَدَهُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَغُومِهَا وَهَمُومِهَا وَأَوْصَابِهَا مَا يَعِظُمُ بِهِ عِنْدَهُمْ مَقْدَارَ دُخُولِهِمْ إِلَيْهَا فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، فَإِنَّ الضَّدَّ يَظْهَرُ حَسَنَهُ الضَّدَّ، وَلَوْ تَرَبَّوْا فِي دَارِ النَّعِيمِ لَمْ يَعْرِفُوا قَدْرَهَا، وَأَيْضًا فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَمْرَهُمْ وَنَهْيَهُمْ وَابْتِلَاءَهُمْ وَاجْتِبَاهَهُمْ، وَلَيْسَتْ الْجَنَّةُ دَارَ تَكْلِيفٍ فَاهْبِطَهُمْ إِلَى الْأَرْضِ وَعَرَضَهُمْ بِذَلِكَ لِأَفْضَلِ النَّوَابِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِيُنَالِ بِدُونِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَأَيْضًا فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْهُمْ أَنْبِيَاءَ وَرُسُلًا وَأَوْلِيَاءَ وَشُهَدَاءَ يُجِيبُهُمْ وَيُجِيبُونَهُ فَخَلَىٰ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِمْ وَامْتَحَنَهُمْ بِهِمْ فَلَمَّا آثَرُوهُ وَبَدَلُوا نُفُوسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فِي مَرْضَاتِهِ وَمَحَابِهِ نَالُوا مِنْ مَحَبَّتِهِ وَرِضْوَانِهِ وَالْقَرَبِ مِنْهُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُنَالِ بِدُونِ ذَلِكَ اصْلا... وأيضاً فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحَسَنَىٰ فَمِنْ أَسْمَائِهِ الْغُفُورِ الرَّجِيمِ الْعَفْوِ الْحَلِيمِ الْخَافِضِ الرَّافِعِ الْمُعْزِ الْمَذِلِّ الْمُحْيِي الْمَمِيتِ الْوَارِثِ الصَّبُورِ وَلَا بُدَّ مِنْ ظُهُورِ آثَارِ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ فَاقْتَضَتْ حِكْمَتَهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَنْزِلَ آدَمُ وَذَرِيَّتُهُ دَارًا يَظْهَرُ عَلَيْهِمْ فِيهَا آثَرُ أَسْمَائِهِ فَيَغْفِرُ فِيهَا لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَيَخْفِضُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْفَعُ مَنْ يَشَاءُ وَيَعِزُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَذِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَنْتَقِمُ مِمَّنْ يَشَاءُ وَيُعْطِي وَيَمْنَعُ وَيَبْسِطُ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ ظُهُورِ آثَرِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ... وأيضاً فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَمَّا كَانَ يَحِبُّ الصَّابِرِينَ وَيُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَيُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفَا وَيُحِبُّ التَّوَابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ وَيُحِبُّ الشَّاكِرِينَ وَكَانَتْ مَحَبَّتُهُ أَعْلَىٰ أَنْوَاعِ الْكِرَامَاتِ أَقْتَضَتْ حِكْمَتَهُ أَنْ أُسْكِنَ آدَمَ وَبَنِيهِ دَارًا

⁶⁴ ينظر: تفسير المنار 1/231.

⁶⁵ ينظر: أضواء البيان 1/34.

⁶⁶ الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير 1/44.

⁶⁷ سورة البقرة: من الآية 36.



يَأْتُونَ فِيهَا بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الَّتِي يَبَالُونَ بِهَا أَعْلَى الكَرَامَاتِ مِنْ مَحَبَّتِهِ فَكَانَ إِنْزَالُهُمْ إِلَى الْأَرْضِ مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ عَلَيْهِمْ⁶⁸.

قال الثعلبي عند تفسير قوله تعالى: (وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ)، (وَقُلْنَا): يعني لآدم وحواء وإبليس والحية (اهْبِطُوا): أي أنزلوا إلى الأرض (بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ) فهبط آدم بسرنديب من أرض الهند على جبل يقال له نودة، وقيل: واشم، وحواء بجدة، وإبليس بالأبلة وقيل بميسان، والحية بأصفهان⁶⁹.

والذي أميل إليه في أن المراد في هذه الآية آدم وحواء وإبليس، وهو ما رجحه ابن الجوزي عندما أورد قوله تعالى: (وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ) قال: فَهَذَا اهْبِطَ آدَمُ وَحَوَاءُ وَإِبْلِيسُ مِنَ الْجَنَّةِ وَلِهَذَا أتى فِيهِ بضمير الجمع وقيل انه خطاب لهم وللحية وهذا يحتاج الى نقل ثابت إذ لا نذكر للحية في شيء من قصة آدم وإبليس وقيل خطاب لآدم وحواء وأتى فِيهِ بلفظ الجمع كقوله تعالى (وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ)⁷⁰ وقيل لآدم وحواء وذريتهما وهذه الأقوال ضعيفة غير الأولى لأنها بين قول لا دليل عليه وبين ما يدل ظاهر الخطاب على خلافه فنبت ان إبليس داخل في هذا الخطاب وانه من المهبطين من الجنة⁷¹. وكذلك ذهب الى هذا القول محمد رشيد رضا عند تفسيره لهذه الآية قال: ثُمَّ بَيَّنَّ اللهُ تَعَالَى كَيْفِيَّةَ الْإِخْرَاجِ بِقَوْلِهِ: (وَقُلْنَا اهْبِطُوا) يَعْنِي آدَمَ وَرَوْجَهُ وَإِبْلِيسَ، فَلَا حَاجَةَ لِتَقْدِيرِ إِرَادَةِ ذُرِّيَّةِ آدَمَ بِالْجَمْعِ فَإِنَّ الْعَدَاوَةَ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: (بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ) تُتَأَفَى هَذَا التَّقْدِيرَ فَإِنَّ الْعَدَاوَةَ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَالشَّيْطَانِ لَا بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَذُرِّيَّتِهِ⁷². وأما ما ذكره الثعلبي في تحديد أماكن لا طائل تحته ويفتقر الى الدليل، ومن المفسرين الذين انبروا لتلك الروايات وبينوا أنها من الاسرائيليات الحافظ ابن كثير قال: وَقَدْ ذَكَرَ الْمُفَسِّرُونَ الْأَمَّاكِنَ الَّتِي هَبِطَ فِيهَا كُلُّ مِنْهُمْ وَبَرِجُ حَاصِلِ تِلْكَ الْأَخْبَارِ إِلَى الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِصِحَّتِهَا، وَلَوْ كَانَ فِي تَعْيِينِ تِلْكَ الْبِقَاعِ فَائِدَةٌ تَعُودُ عَلَى الْمُكَلِّفِينَ فِي أَمْرِ دِينِهِمْ أَوْ دُنْيَاهُمْ، لَذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ أَوْ رَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ⁷³. وقال الهروي: وما أوردوه في قصة هبوط آدم وحواء من الجنة، وما يتعلق به، قد نقلوا أكثره من الاسرائيليات التي لا يصح شيء منها عند التقدمة من أهل العلم⁷⁴.

وعندما فسر الثعلبي قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)⁷⁵.

⁶⁸ مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن القيم 4-3/1.

⁶⁹ الكشف والبيان 183/1.

⁷⁰ سورة الانبياء: من الآية 72.

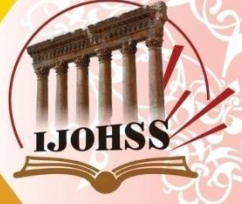
⁷¹ مفتاح دار السعادة 15/1.

⁷² تفسير المنار 231/1.

⁷³ ينظر: تفسير القرآن العظيم لأبن كثير 359/3.

⁷⁴ تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للهروي 325/1.

⁷⁵ سورة البقرة الآية: 183



قال: روى عبد الملك بن هارون بن عنترة عن أبيه عن جده عن علي (رضي الله عنه) قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم عند انتصاف النهار وهو في الحجر، فسلمت عليه فردّ عليّ النبيّ صلى الله عليه وسلم ثمّ قال: «يا علي هذا جبرئيل يقرئك السلام. فقلت: عليك وعليه السّلام يا رسول الله لم؟ قال: ادن منّي، فدنوت منه فقال: يا علي يقول لك جبرئيل: صم كل شهر ثلاثة أيام يكتب لك بأول يوم عشرة آلاف سنة وباليوم الثاني ثلاثين ألف سنة وباليوم الثالث مائة ألف سنة فقلت: يا رسول الله هذا ثواب لي خاصة أم للنّاس عامة؟ قال: يا علي يعطيك الله هذا الثواب ولمن يعمل مثل عملك بعدك. قلت: يا رسول الله وما هي؟ قال: أيام البيض: ثلاثة عشر وأربعة عشر وخمسة عشر»

قال عنترة: قلت لعلي (رضي الله عنه) : لأي شيء سميت هذه الأيام البيض؟ قال: لما أهبط آدم عليه السّلام من الجنّة إلى الأرض أحرقت الشمس. فاسودّ جسده ثمّ صام اليوم الثالث. فأناه جبرئيل فقال: يا آدم أتحب أن يبيض جسّدك

قال: نعم، قال: فصم من الشهر ثلاثة عشر وأربعة عشر وخمسة عشر فصام آدم عليه السّلام أول يوم فابيض ثلث جسده، ثمّ صام اليوم الثاني فابيض ثلثا جسده، ثمّ صام اليوم الثالث فابيض جسده كلّه. فسميت أيام البيض⁷⁶.

أخرج ابن الجوزي نحواً من هذا الحديث عن عبد الملك بن هارون بن عنترة... ثمّ قال: هذا حديث موضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقله قط⁷⁷. وقال الذهبي في ترجمة (عبد الملك بن هارون): اتهم بوضع حديث: (من صام يوماً من أيام البيض عدل عشرة آلاف سنة)⁷⁸.

المطلب الثالث: استخلافه في الأرض.

أخبر الله تعالى الملائكة بأنه سيجعل آدم عليه السلام خليفة في الأرض، لعمارتها وإقامة العدل فيها، وأعلمهم أن هذا الخليفة ستكون له ذرية وسيزين الشيطان لهم أعمالهم ويصيبهم مرض الغرور والحسد والتباغض فيفسدوا في الأرض ويقتل بعضهم بعضاً ولذلك حكمت الملائكة على هذا الخليفة بالإفساد وسفك الدماء مسبقاً.

قال الثعلبي في تفسير قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾⁷⁹.

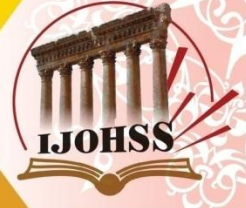
قال المفسرون: وذلك أن الله تعالى خلق السماء والأرض وخلق الملائكة والجن، فأسكن الملائكة السماء، وأسكن الجنّ الأرض، فعبدوا دهرًا طويلاً في الأرض ثمّ ظهر فيهم الحسد والبغي، فاقتتلوا وأفسدوا، فبعث الله إليهم جنّداً من الملائكة يقال لهم: الجن، رأسهم عدو الله إبليس وهم خزّان الجنان اشتق لهم اسم من الجنّة فهبطوا إلى

76 الكشف والبيان 62/2.

77 ينظر: الموضوعات لابن الجوزي، كتاب الصيام، باب صيام أيام البيض، 197/2.

78 ميزان الاعتدال 667/2.

79 سورة البقرة: الآية 31.



الأرض، وطردوا الجنّ عن وجهها فالحقوهم بشعوب الجبال، وجزائر البحر، وسكنوا الأرض وخفف الله عنهم العبادة، وأحبّوا البقاء في الأرض لذلك، وأعطى الله إبليس ملك الأرض وملك سماء الدنيا وخرانة الجنان، فكان يعبد الله تارة في الأرض، وتارة في السماء، وتارة في الجنة فلما رأى ذلك دخله الكبر والعجب، وقال في نفسه: أعطاني الله هذا الملك إلا لأني أكرم الملائكة عليه، وأعظمهم منزلة لديه فلما ظهر الكبر جاء العزل، فقال الله له ولجنده: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً فَلَمَّا قَالُوا لَئِنَّمْ كَرِهُوا لَأَنَّهُمْ كَانُوا أَهْوَنَ فِي الْمَلَائِكَةِ عِبَادَةً، وَلَئِنَّ الْعِزْلَ شَدِيدٌ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا بِالْمَعَاصِي. وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ⁸⁰.

هذه الرواية وأمثالها وردت في كثير من كتب التفسير دون تعقيب أو بطلان على ما فيها من ضروب المبالغة وفيها أشياء مخالفة للكتاب والسنة، فلا يوجد دليل من كتاب أو سنة انه كان قبل ادم عليه السلام في الارض الجن بنو الجان فاقتتلوا وسفكوا الدماء فارسل الله اليهم جنودا من الملائكة ، فَضَرَبُوهُمْ حَتَّى أَلْحَقُوهُمْ بِجَزَائِرِ الْجُورِ. فسؤال الملائكة لما أخبرهم الله تعالى عن استخلاف آدم قالوا (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ) .

استكشاف عن الحكمة الخفية وعما يزيل الشبهة وليس استفهاماً عن نفس الجعل والاستخلاف لأنهم قد علموه قبل، فالمسؤول عنه هو الجعل ولكن لا باعتبار ذاته بل باعتبار حكمته ومزيل شبهته، أو تعجب من أن يستخلف لعمارة الأرض وإصلاحها من يفسد فيها⁸¹(82).

وحكم الملائكة بالإفساد والسفك على الإنسان ليس من ادعاء علم الغيب أو الحكم بالظن والتخمين ولكن بإخبار من الله تعالى، ولم يقص علينا فيما حكى عنهم اكتفاء بدلالة الجواب عليه للإيجاز كما هو عادة القرآن⁸³. وإخبار الله تعالى للملائكة أنه سيجعل خليفته في الأرض من باب الإخبار والإعلام لا من باب الاستشارة فقال لهم (إِنِّي جَاعِلٌ) ولم يقل إني سأجعل ، وذلك تأكيداً على وقوع الأمر .

اما ما ذكره الثعلبي من ان هؤلاء الملائكة يقال لهم: الجن، رأسهم عدو الله إبليس وهم خزّان الجنان اشتق لهم اسم من الجنة فهبطوا إلى الأرض وخفف الله عنهم العبادة، وأحبّوا البقاء في الأرض لذلك، وأعطى الله إبليس ملك الأرض وملك سماء الدنيا وخرانة الجنان، فكان يعبد الله تارة في الأرض، وتارة في السماء، وتارة في الجنة. لا طائل تحته، والصحيح ان ابليس لم يكن من الملائكة، لان الملائكة خلقت من نور والجن خلقوا من نار قال تعالى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾⁸⁴. وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: "خُلِقَتْ

⁸⁰ الكشف والبيان 1/175.

⁸¹ روح المعاني 1/223.

⁸² المصدر نفسه 1/223-224 ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير 1/216.

⁸³ سورة الحجر: الآية (27).

⁸³ صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب في احاديث متفرقة 4/2294، برقم (2996).

⁸³ سورة الأنبياء: الآيتان (19-20).

⁸⁴ سورة الحجر: الآية (27).

⁸⁴ صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب في احاديث متفرقة 4/2294، برقم (2996).



الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ إِبْلِيسُ مِنْ مَرَجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ⁸⁵. كذلك لا يوجد دليل من ان الله خفف عن احد العباد ولا اعطى لأحد هذا الملك وهذه الميزة حتى الملائكة المقربين، قال تعالى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾⁸⁶. والذي اميل اليه ان هذا من الاسرائيليات التي نقلها بعض أهل الكتاب الذين أسلموا وانتشرت في علوم المسلمين وأخذها عنهم بعض الصحابة ونقلها عنهم بعض المفسرين وحشو بها تفاسيرهم والله اعلم. ثم ذكر الثعلبي عند تفسير قوله تعالى (قَالَ إِيَّيْ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) حديث عن محاجة موسى لآدم عليهما السلام عندما قال له اخرجتك خطيئتك من الجنة.

عن ابن شهاب عن حميد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «احتج آدم وموسى. فقال له موسى: أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة. فقال له آدم: أنت موسى اصطفاك الله لرسالته وكلامه، ثم تلومني على أمرٍ قدّر قبل أن أخلق. فحج آدم موسى»⁸⁷. والحديث صحيح اخرجه الشيخان⁸⁸. والمراد منه: أي التقت أرواحهما في السماء فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى بِرَفْعِ آدَمَ وَهُوَ قَاعِلٌ أَي غَلَبَهُ بِالْحُجَّةِ وَظَهَرَ عَلَيْهِ بِهَا وَمَعْنَى كَلَامِ آدَمَ أَنَّكَ يَا مُوسَى تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا كُنْتُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ وَقَدَّرَ عَلَيَّ فَلَا بَدَّ مِنْ قُدْرَتِهِ وَلَوْ حَرَصْتُ أَنَا وَالْخَلَائِقُ أَجْمَعُونَ عَلَى رَدِّ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنْهُ لَمْ تَقْدِرْ فَلِمَ تَلُومُنِي عَلَى ذَلِكَ لِأَنَّ اللُّؤْمَ عَلَى الذَّنْبِ شَرْعِيٌّ لَا عَقْلِيٌّ وَإِذْ تَابَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى آدَمَ وَعَفَّرَ لَهُ زَالَ عَنْهُ اللُّؤْمُ فَمَنْ لَأَمَهُ كَانَ مَحْجُوجًا بِالشَّرْعِ⁸⁹.

الخاتمة

الحمد لله الذي وفقني لإتمام هذا البحث وقد توصلت الى عدة نتائج أذكر منها:

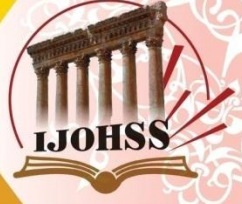
- 1- يعتبر تفسير الثعلبي من التفاسير الرائدة بالتفسير التي تهتم بنقل المرويات والآثار التفسيرية، لكنه لم يميز بين صحيحها وسقيمها.
- 2- احتوى تفسير الكشف والبيان على العديد من الفوائد اللغوية والنحوية والبلاغية والفقهية وغيرها.
- 3- اشتمل تفسيره على روايات وآثار ضعيفة وموضوعة واسرائيلية من دون تقييد وتمحيص.
- 4- ذكر الثعلبي روايات عديدة حول قصة خروج آدم عليه السلام من الجنة وهذه الروايات فيها الصحيح وفيها الموضوع.
- 5- كان يذكر القراءات القرآنية في الآية سواء كانت متواترة وغير متواترة، ويعتني بتوجيهها، والاستدلال لها.
- 6- أما أسباب النزول فكان يعتني بسردها، دون عزو أو إسناد كما أنه لا يتعقبها بالتعليق.

85 سورة الأنبياء: الأيتان (19-20).

86 الكشف والبيان 1/177.

87 صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى(وكلم الله موسى تكليماً)، 148/9 برقم(7515)؛ وصحيح مسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، 4/2044 برقم(2652).

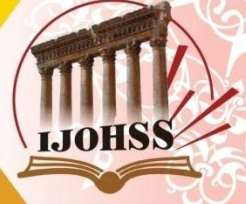
88 شرح صحيح البخاري لابن بطال 314/10، وشرح النووي على مسلم 202/16.



المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- 1- أحكام القرآن، محمد بن عبدالله الأندلسي (ابن العربي) (ت543هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت.
- 2- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (ت: 923هـ) المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط7، 1323 هـ.
- 3- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت: 1403هـ) مكتبة السنة، ط4.
- 4- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي (ت1393هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت، 1415هـ، 1995م.
- 5- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: 1205هـ) تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- 6- تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت: 571هـ) تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415 هـ - 1995 م.
- 7- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا القلموني الحسيني (ت: 1354 هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ب ط، 1990م.
- 8- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت: 774 هـ)، ت؛ محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية (منشورات محمد علي ببيضون) - بيروت، الطبعة الأولى، 1419 هـ.
- 9- التفسير المظهري، محمد ثناء الله المظهري، تحقيق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية - الباكستان، 1412هـ.
- 10- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، اشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ - 2001 م.
- 11- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)، تحقيق: أبو عاصم حسن بن عباس بن قطب، مؤسسة قرطبة، مصر، ط1، 1416هـ/1995م.
- 12- تلخيص كتاب الموضوعات لابن الجوزي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم بن محمد، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1419هـ - 1998م.
- 13- تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ) مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط1، 1326هـ.
- 14- جامع البيان في تأويل القرآن محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (ت310هـ) ت؛ أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة الأولى، 1420 هـ.
- 15- الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، ت 671 هـ) ، تحقيق : أحمد البردوي ، وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط2 ، 1384 هـ - 1964 م.
- 16- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: 1270هـ) تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1. 1415 هـ
- 17- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني (ت 977هـ) . - مطبعة بولاق ، القاهرة ، 1285 هـ.
- 18- سفر التكوين - العهد القديم.
- 19- شرح صحيح البخاري لابن بطلال، لابن بطلال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: 449هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط1، 1423هـ - 2003م.



- 20- صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر)، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري (ت256هـ)، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، ط1407، 3هـ، 1987م، تحقيق: د.مصطفى ديب البغا.
- 21- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، دار الجيل، بيروت، دار الافاق الجديدة - بيروت.
- 22- العجائب في بيان الأسباب: شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، دار ابن الجوزي، الدمام، ط1، 1997م، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس.
- 23- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة - بيروت، 1379.
- 24- قصص الأنبياء، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ) تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مطبعة دار التأليف - القاهرة، ط1، 1388هـ - 1968م.
- 25- الكامل في ضعفاء الرجال، أبو أحمد بن عدي الجرجاني (ت: 365هـ) تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت-لبنان، ط1. 1418هـ 1997م
- 26- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت: 427هـ) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط1 1422هـ - 2002م.
- 27- لسان العرب، محمد بن مُكرم بن علي بن منظور الأنصاري الأفرريقي (ت: 711 هـ)، دار صادر- بيروت، الطبعة الثالثة، 1414 هـ.
- 28- المستدرک علی الصحیحین، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت405هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ، 1990م، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.
- 29- معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء، (ت:510هـ) ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1420هـ.
- 30- مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي (ت606هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1421هـ، 2000م.
- 31- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 32- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: 502هـ) تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط1، 1412هـ.
- 33- المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم: عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج (ت597هـ)، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج، دار صادر - بيروت، ط1، 1358هـ.
- 34- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: 676هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت ط2، 1392هـ.
- 35- موقع الدكتور محمد راتب النابلسي ، www.alnabulsi.com ، وموقع شباب كل العمر ، www.shabablek.com .
- 36- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ابن قَائِمَاز الذهبي (المتوفى: 748هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط1، 1382 هـ - 1963 م.
- 37- النهاية في غريب الحديث والأثر: أبو السعادات ابن الأثير المبارك بن محمد الجزري (ت606هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ، 1979م، تحقيق: طاهر أحمد الراوي، محمود محمد الطناحي.
- 38- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمَوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: 437هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، ط1، 1429هـ - 2008 م.